مع المعتوهين

خرجنا إلى البر كما جرت عليه العادة عند حلول الربيع فى الكويت ، لنريح أجسامنا ونمتع نفوسنا بحلاوة جو الربيع ، ولننطلق مع نسماته المرحة فى فضاء الله الواسع وفى ليلة طاب لى التمشى إلى حيث ينزل جمع من الصحاب فى خيام أقاموها غير بعيد منا ، وبعد قليل بدت خيامهم كنساء التففن بأعبيتهن وجلسن فى دائرة على الأرض فأخذت طريقى إليها مسترشداً بسراج أقاموه وسط مضربهم ووصلت المكان فدلفت إلى الصيوان الكبير حيث يلتئم الجمع بعد العشاء . فألفيتهم يتأهبون لبدء سمرهم منتظرين بدء المطرب الذى كان محتضناً عوده وبين آونة وأخرى يعيرك أذنا من آذانه فيرسل هذا دندنة خافتة ثم تنحنح وابتدأ غناؤه ، ولم أك ممن يميلون إلى غناء ذلك المطرب فسألت جارى « هل تسمرون كل الليالى مع هذا المطرب ؟ » .

فأجابنى بسخرية « ندعو أم كلثوم بعض الليالى . . . ها ها ... هل عرفت وسيلة للسمر فى الكويت غير الاستماع إلى مثل هذا » .

قلت « إنما أقصد هل المطرب هو وسيلتكم الوحيدة للسمر ، ألا تقضون وقتكم فى الحديث بعض الليالى أو تنطلقون خارج مضرب خيامكم وتتمتعون بجلال الكون وجماله » .

فأجابنى « يالروعة الإحساس . . . أتحسبن لجميع الناس نفسك الشاعرية ، صدقنى لطالما تمنيت على الله أن يهبنا غير هذه الطريقة لقضاء الوقت . لقد أصبح الشباب يقلدنا فى ذلك . فما تكاد المدارس تغلق أبوابها عند انتهاء السنة الدراسية حتى ينطلقون من عقالهم فمن خارج إلى الضواحى ومن منتجع الجزر ، يقضون معظم وقتهم لا هين بهذه الطريقة وناهيك عما تجلبه عليهم من مضار فى الخلق . وينسون بمرور الوقت ما تعلموه فى سنتهم بين نقرات الدف وأنغام الحاكى » .

قلت « أمتشائم إلى هذا الحد » .

قال « بل أكثر من متشائم ، فقد لمست مضار لهوهم بنفسى . ولم أر من يعير ذلك اهتماما حتى أو لياء أمورهم قد ألقوا لهم الحبل على الغارب . وإدارة المعارف لماذا لاتنظم لهم الرحلات إلى داخل القطر وخارجه » .

قلت « هل تلوم مجلس المعارف وتقول إن أولياء أمورهم لا يلقون لهم بالا » .

قال « وكيف لا ألومه . لم لا تفتح لهم المدارس أثناء عطلة الصيف وتشجعهم على إقامة نشاط رياضى منظم . إن هذا النشاط سيعود عليهم بأجزل النفع . ثم لم لا تنظم لهم المسابقات الأدبية والعلمية وتشجعهم على الاطلاع . إن هذه لفائدة مزدوجة ، أليس فى مقدور إدارة المعارف أن تخصص جوائز للمتفوقين فى هذا المضمار » .

قلت « إن نظام المسابقات يستدعى وجود من يرجع إليهم الطالب عند ما يشكل عليهم أمر أو تستعصى عليه مشكلة » .

قال « هذا ليس بالمتوفر لكن أليس فى الإمكان إنشاء المكتبات المدرسية ثم إن هناك من المدرسين المتدبين من لا يبرح الكويت أثناء الصيف . لقد غدى شبابنا يجرى وراء الطرب كالفراشات رأت اللهب فتهافتت عليه وطفقت ترقص حوله وما درت أنه يودى بها إلى الهلاك .

« صهباء »

مثل رائع فى ضبط النفس

حكى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه ، فوقع الإبريق من يد الغلام فى الطست ، فطار الرشاش فى وجهه ، فنظر جعفر إليه نظر مغضب ، فقال : يامولاى والكاظمين الغيظ . قال : قد كظمت غيظى قال : والعافين عن الناس . قال : قد عفوت عنك . قال : والله يحب المحسنين . قال : إذهب فأنت حر لوجه الله الكريم .